



أنواع الخطابات الحزبية التي تطفو على الساحة:

1- الخطاب المتشائم:

أصحابه ذو طاب سوداوي ونظرتهم إلى الحياة متشائمة، يتظيرون بكل دعوة للإصلاح شرّاً ويتربّد على ألسنتهم دائمًا أننا في آخر الزمان وأنّ أمراض الأمة وتخلفها مستعصية على كل الحلول، وأنّ الفساد في كثرة والخير في ندرة والكفر في إقبال والإسلام في إدبار، وأنّ على المسلم الاعتزال اتفاءً لشرور الناس حرصاً على دينه، وأنّ الإسلام سيعود غريباً كما بدأ، وأنّ الفتن أقبلت كقطع الليل المظلم، وأنّ القابض على دينه كالقابض على الجمر، وأنّ عرى الإسلام سوف تنقص عروة عروة، فنحن بين يدي الساعة وما بقي إلا الدجال، فالموت تحفة لكل مؤمن، وهؤلاء ينقصهم فقه في إنزال أحاديث الفتن على الواقع.

2- الخطاب الحال المثالى:

يتكلم أصحابه عن أحلامٍ ورديةٍ، فتفهم من محتوى حديثه أن الإسلام سينتصر من الغد، ودولة الإسلام قاب قوسين وخلافة الله تلوح من قريب، ونحن على أبواب القدس، هذا الخطاب يريد حصاداً بلا بنار ونتائج بلا مقدمات، يريد حضارة بلا مراحل وفقه للسنن الكونية الجارية، يريد زبجاً بلا عناقيد يستعجل الفتح وهو لا يدرى عن ألف بائه شيئاً فهو يبني على الرغبة والتمني لا الواقع والإمكانيات، وهؤلاء ينقصهم فقه الواقع والإمكانات، حتى نجني الأهداف لا بدّ من سلك سبيلاً دون توكل وبطالة.

3- الخطاب التصادمي:

الأصل عندهم في الناس الكفرُ والعداءُ والاتهام، وسوءُ الظن عندهم مقدم على حسن الظن، أخذوا فِيهِمْ من السجون فغالوا في أحکامهم وابتُلوا بأربع أمراضٍ: التفسيق والتبييع والتكفير والتتجير، شاهرين سيفَ الجدل والمراء، ويکفرون حتى من خالفهم بالغروع، فيهم شيءٌ من فقه الظواهر وغلو الخوارج وجفوة الأعراب، مشكلتهم أنَّ تصوُّرَهُم بُنيَ على ردةٍ فعلٍ لما عانوه من ظلم الحكام، فهم يحتاجون إلى فقه المآلات وفقه المرحلة.

4- الخطاب المائع:

وهو الذي فقد هويته وخصائصه وانتقامه وذاب في غيره، مسحور بكلٍ جديٍ ومعجب بكلٍ وافدٍ ولو كان مخالفًا للقطعيات في الدين، يتنازل ويساير ويتميّع تحت عناوين حوار الأديان وتقارب المذاهب، فَتَحَتَ عنوان حوار الأديان تُحرَفُ الأديان، وتحت عنوان تقارب المذاهب يُسيَّسُ الدين ويُجعل منه تكاءٌ للسلطة والبلط، هؤلاء يعطون لكلٍ وافدٍ وصف الإسلام ويُضفُّون عليه مسحة الدين، فإذا انتشرت الاشتراكية قالوا: وهل الإسلام إلا دعوة للاشتراكية! وإن راجت الديمقراطية قالوا: وهل هي إلا الشورى! حتى أنَّ منهم من ادعى أنَّ الإسلام سبق دارون إلى نظريته!

هم يُحاولون أن يصطلحوا مع الليبرالية والحداثة والعلمانية فدخلوا في السياسة وأكلوا من حلائها وسكتوا عن أهواها، وجدت العلمانية فيهم مرتعًا خصباً لنفث سمومها وجعل الدين مطيّة لغاياتها، هؤلاء مبتلون بالسذاجة وحسن الظن الزائد والانهزام النفسي والشك في الإمكانيات، واستسلامًا للتخارُق والحوار أوّلوا المحكمات ونسفوا الثوابت ولدوا أعناق النصوص، فكان اجتهادهم مربودًا وفكّرهم مَمْجُواً.

5- الخطاب الاجتراري التقليدي:

الذي يَجْتُرُ ما سَلَفَ من المناهج والأفكار، دُعَاهُ يُفَكِّرون بعقول الموتى أغلقوا باب الاجتهاد غيرهُ أن يَلْجَأُ من ليس أهلاً له، تعصّبوا لمذاهبهم ومشايχهم، يُعالِجُون مشاكل العصر بفقه قرون الانحطاط الفقهي والتقليد المذهبي، يعيشون مع الماضي، ليس لهم روح عصرهم! مع أنَّ السلف كانوا يجتهدون لعصرهم، الأمر الذي فتح الباب أمام الفقهاء الوضعيين: يجتهدوا، ويقطعوا أشواطاً بالفقه الدستوري والإداري والاقتصادي، شعارُهُم الدائم: ما ترك الأوّلون للآخرين من شيءٍ! ونحن نقول بل كم ترك الأوّلون للآخرين، لذلك جاءت مؤلفاتهم تجْتُرُ الحواشي والمتون، ولما أرادوا أن يجتهدوا عادوا إلى الاستنجاج وآداب الخلاء، فكان اجتهادهم لا يعود أن يكون نُقولاً وتجمِيعاً، وفي أحسن الأحوال ترجيحات لا يلتزمونها.

هؤلاء يحتاجون إلى فقه التجديد والاجتهاد.

6- الخطاب الاختصاري المجتزأ:

الذي يختصر الإسلام في جزء من أجزائه ويضخمه على حساب غيره ويُصوّره على أنه الإسلام بِكُلِّهِ، يريدون الإسلام عقيدة بلا شريعة ودعوة بلا دولة وسلامًا بلا حقوقٍ وتزكية بلا جهادٍ وحقًا بلا قوة، فمنهم من ضخم مسألة تزكية النفس وعمي نظره عن غيرها، وهذا يأخذ الجهاد ويقول: هذا هو الإسلام، والثالث يعتبر الدعوة أُسْسَهُ وأساسه وما دونها هباءً! والرابع يجعل من قيام الدولة الإسلامية دَيْنَهُ وجُلَّ شُغْلِهِ، والخامس يعتبر قمع البدعة نهاية غاية الدين. هؤلاء يحتاجون إلى ترسیخ مبدأ الفقه الشمولي للإسلام.

الخطاب الإيفيوني التخديري:

وهو الخطاب المُغرِّقُ في القضايا الغبية بدون تمحيص للأسانيد، مبنيٌ على ثلاثة مركبات:
أولاً: العقيدة الجبرية، يُصوّرُ الإنسان مسلوب الإرادة وأنه مُساوٌ إلى مصيره بخيوط القدرة.

ثانياً: يتحدث عن المُخلص في آخر الزمن وخروج المهدى ونزول عيسى عليه السلام وأن مشاكل الأمة لن تُحلَّ إلا بهذا المخلص، فكلَّ جهد قبل ذلك عناهُ وهباء.

ثالثاً: يرتكز هذا الخطاب على اعتقاد مفاده أنَّ الكون مُسَيَّرٌ بدولة أولياء باطنية لهم حق التصرف في الكون، فهو كالذى

يعالج بالمسكن بدلاً من استئصال العلة، وهو خطاب تبرريٌ لكل الأخطاء، يُبرر الاستبداد بحجّة طاعة ولِي الأمر، ويُبرر المعاصي بحجّة أنها من قدر الله، ويُبرر البدع بحجّة البدعة الحسنة ويُبرر ترك الجهاد بحجّة جهاد النفس، ويُبرر الخرافات على أنها كرامات لأصحابها، ويبَرر رواية الأحاديث الضعيفة بحجّة العمل بها من فضائل الأعمال. مصادر المعرفة لديه إلهاماتٌ والمناماتُ والآثارُ الواهية، هذا النموذج يحتاج إلى فقه الواقع وضبط مصادر المعرفة.

8- الخطاب الرشيد:

لابدّ من صياغة الخطاب الرشيد الجامع للأمة، لا بدّ من تبني خطاب إسلامي يرشد الصحوة الإسلامية ويكون لبنة أساسية في المشروع الحضاري للأمة وليس عمله كعمل إطفاء الحرائق الذي يعالج العرض دون المرض يوصف الأمراض دون دواء وينشغل بالهدم دون البناء، إنَّ الخطاب الوسطي الإيجابي الشمولي، يدعو لإسلام التيسير لا التعسir والتبيشير لا التنفيذ والرقق لا العنف والتعارف لا التناكر والتسامح لا التعصب والجوهر لا الشكل والعمل لا الجدل والعطاء لا الادعاء والاجتهاد لا التقليد والتجديد لا الجمود والانضباط لا التسيب والإعتدال بدون غلو ولا جفاء، ثابت في الأصول والمقاصد، مَرِنْ في الفروع والوسائل متدرج في التغيير على حسب القدرة مرتبط بالسلف متصل بالعصر يراعي فقه الأولويات وفقه المآلات وطبيعة المرحلة، ويعي السنن الكونية في بناء المجتمعات دون مُغالبة ولا تقصير ولا انحراف ولا اصطدام، يعالج الكليات ولا يفرق في الجزئيات، متوقف بالعبادة يتبع في المصالح والعادات.

نور سورية

المصادر: